

جديدة لتعديك قواعد اللعبة

تك أيبب تراسك موسكو: هطالبنا... وإلا

يحيى دبوفا

ارتقت إسرائيل درجة في اعتداءاتها على الساحة السورية، بعيداً عن سياستها المعتمدة إلى الآن، في تتبّع ومحاولة استهداف شحنات سلاح نوعي من سوريا وغيرها إلى لبنان. كذلك يتمثل الارتقاء في أن الاعتداء لم يكن موجهاً فقط إلى الدولة السورية وحلفائها الأكثر التصاقاً بها، بل إلى حليفها الروسي، راعي التسوية والحل السياسي المتبلور أخيراً مع الأميركيين، في مرحلة ما بعد تنظيم داعش وأخوانه، وهو الحل الذي لم يراع مصالح إسرائيل ومطالبها الأمنية.

في التحليل، يمكن الإشارة إلى أن الاعتداء الإسرائيلي، والارتقاء بنتيجته، يأتي بعد زيارات إسرائيلية، وعلى أعلى المستويات السياسية والأمنية لواشنطن وموسكو، بآء بالفشل. فتجديداً لدى الجانب الروسي، لم تنجح تل أبيب في الحصول على ضمانات وتبني مطالبها في سوريا ما بعد مرحلة تنظيم داعش. ومع إدراك إسرائيل خطورة المعادلة الميدانية المتبلورة في الساحة السورية وتهديدها الكبير لأمنها القومي، حاولت فرض نفسها، كلاعب أساسي، عبر إطلاق التهديدات، والتأكيد على قدرتها في «خريطة» الاتفاقات والتسويات.

تصريحات مسؤوليها غير المباشرة واضحة في إفهام الطرف الآخر، وفي المقدمة الجانب الروسي، أن تهديداتها ذات صدقية.

وإذا كان الاعتداء الإسرائيلي، هذه المرة، استهدف منشأة تصنيع عسكرية سورية، كما يرد في تقارير إعلامية، وهي أحد منابع قدرة الجيش السوري على مواصلة حربه ضد الجماعات المسلحة، إلا أنه في المقابل، وربما أيضاً في الأساس، موجّه بصورة غير مباشرة إلى الجانب الروسي، للإيحاء إلى إسرائيل قدرة ومصممة، ونفذت ما هدّدت به، باتجاه فرض خطوطها الحمراء الجديدة: إبعاد إيران وحزب الله عن سوريا، ومنع ترميم القدرة العسكرية السورية. رسالة، تؤكد إسرائيل من خلالها أنه في حال لم تقدم موسكو نفسها على فعل ذلك

عبر الاتفاق والضمانات، فإنها لن تتوانى هي عن فرض هذه النتيجة، بالقوة العسكرية.

مع ذلك، تبقى إشكالية تتطلب الكثير من التأمل، وعلى الأقل من ناحية نظرية، إذ إن الطائرات الإسرائيلية التي شنت غارة «مصيف»، يفترض أنها كانت ضمن مجال الرادارات والصواريخ الروسية، رغم أنها لم تخترق الأجواء السورية، ما يفتح المجال أمام تحليلين، نظريين على الأقل، بشأن حقيقة الموقف الروسي: هل نجحت إسرائيل في انتزاع هامش تحرك ميداني ضد أعدائها في سوريا، وهو المستبعد، بعد حديثها المفرط عن الفشل الأخير في موسكو؟ أم أن الجانب الروسي فضل الامتناع عن المواجهة المباشرة، خلال الهجوم الإسرائيلي، وهو الأرجح، وسلوك طرق مواجهة أخرى غير عسكرية، أقله في هذه المرحلة، مع بدء ارتقاء إسرائيل في اعتداءاتها؟

ترقب الرد الروسي، بمعنى ما الذي يمكن أن تقوم به موسكو في أعقاب الاعتداء، كان محل تحليل وتعليق الخبراء في إسرائيل، إذ أكد المعلقون

الاعتداء الإسرائيلي موجّه بصورة غير مباشرة إلى الجانب الروسي

العسكريون في القناة العاشرة العبرية، أمس، أن المعنى الأول بالهجوم هي روسيا، التي لا شك ستعمل على التحقيق في الحادثة. أما من جهة الإيرانيين وحزب الله، فالحدث لا يتعلق بهما، كما تشير القناة، وهم غير مرتبطين به، في إشارة تأكيدية إلى أن الهدف الأول لإسرائيل هو الضغط على موسكو تحديداً، واختبار نياتها. وكشفت القناة، أيضاً، أن الروس خرجوا من لقاء نتنياهو - بوتن قبل أسبوعين باقتناع بأن إسرائيل لن تهاجم في

يفترض بأن الطائرات الإسرائيلية كانت ضمن مجال الصواريخ الروسية (أف ب)



سوريا، وهو ما قاموا بإبلاغه إلى السوريين، ما يعني، بحسب تقرير القناة، أن الضربة موجّهة لروسيا قبل أن تكون موجّهة لسوريا، و«علينا أن ننتظر ما سيحدث، في هذه المرحلة الحساسة».

كيفما اتفق، لا جدال في أن الساحة السورية أمام محطة ميدانية تنطوي على العديد من الدلالات، وهي بمثابة مفترق طرق بما يرتبط بإمكان وسعة ومدى تثير الدولة السورية وحلفائها انتصارهم في سوريا في مرحلة ما بعد الحرب. المؤكد أن إسرائيل تعمل على استباق الحسم النهائي مع تنظيم داعش وأشباهه من تنظيمات أخرى، كي تحجز لها مكاناً في الحل السياسي، بالقوة العسكرية، بعد الفشل سياسياً، وبعد أن تبقت من أن صراخها الذي دوى عالماً في واشنطن وموسكو لم يُجد نفعاً.

المؤكد أن هامش إسرائيل لن يكون واسعاً، في حال كان هناك قرار أميركي روسي، جدي وحازم، بتمرير الاتفاقات المعقودة بينهما. وتجدر هنا الإشارة إلى أن «الموافقة» الأميركية مسلم بها، في حال نجحت إسرائيل في تحقيق المهمة، من دون تداعيات مع الروس. إلا أن هذا الهامش المقلص، الذي يمنع عليها الذهاب بموجبه بعيداً في اعتداءاتها، لا يعني أن إسرائيل قادرة على التسليم بالواقع التهديدي المتشكل أمامها، من دون حراك، وهو ما تحقق فعلاً، بصرف النظر عن النتيجة النهائية لحراكها. الأمور، في نهاية المطاف، بخواتيمها وليس ببدائياتها، خاصة أن هذا المستوى من الضربات غير قادر على التغيير الجذري في المعادلات السورية القائمة، وإن كان قادراً على الإرباك والتشويش.

الارتقاء الإسرائيلي حصل، والأهم مراقبة وتتبع ما يلي من مسارات، سياسية وعسكرية، في اليوم الذي يلي هذا الترقى. استجابة الطرف الآخر، أو مواصلة امتناعه عن تحقيق مصالح إسرائيل، بما يشمل الدولة السورية وحلفاءها الأكثر التصاقاً بها، أو حليفها الروسي، هي التي تحدد مفاعيل ونتائج المقاربة الإسرائيلية الجديدة.

مناورة إسرائيل الكبرى:

حزب الله استكمل احتلال المستوطنات!

من فرضيات المناورة، دور الجيش الإسرائيلي في الأيام الأولى من الحرب هو دفاعي وتلقّي نتائج هجمات حزب الله، ومحاولة التعامل مع نتائجها، فيما ينتقل لاحقاً إلى مرحلة الهجوم، بعد استرداد مفترض للمستوطنات. ويشترك في المناورة الفيلقية، الأولى منذ 19 عاماً، 30 ألفاً من أمر سرية وما فوق، من دون استدعاء الجنود لمهمات قتالية، ما يعني أن المناورة «أركان» بامتياز. ويشترك فيها كما هو معلّن كل قطاعات وأسلحة الجيش الإسرائيلي النظامية، ومن بينها قواعد سلاح الجو وتشكيلاته وأسرابه، وكذلك سلاح البحرية ومختلف قطعه، مع التشديد على استدعاء افتراضي لوحدات المشاة والمدزعات.

الجليل، فيما نجح الجيش الإسرائيلي، في المقابل، بسحب المستوطنين وإخلاء المستوطنات. ويبدو بحسب فرضية المناورة المعلنة، أن احتلال حزب الله للمستوطنات سيستمر إياماً، يخوض خلالها لواء غولاني معارك طاحنة لاستردادها، على أن ينتهي ذلك بنجاح، مقرر مسبقاً، يتبعه توغل إسرائيلي لاحق في الأراضي اللبنانية. وإضافة إلى استكمال توغل عناصر حزب الله في المستوطنات أمس، حاكت المناورة تواصل تساقط صليات الصواريخ على الجليل والشمال، وفحص الاستعداد الإسرائيلي لمعالجة تداعياتها، إذ دوت صفارات الإنذار في عدد من المستوطنات، في تزامن مع عمليات الإخلاء والانتقاذ. وكما يبدو

صحيفة يديعوت أحرونوت أشارت في تقرير كبير معلقها العسكريين، اليكس فيشمان، إلى أنه عندما ينفخ الجيش الإسرائيلي عضلاته على الحدود الشمالية، ويتحدث عن هزيمة حزب الله، فعليه أن يعود بالذاكرة إلى عام 2006، من أجل موازنة الفجوة بين الخطاب المعلن والقدرة على التنفيذ. وحذر من أن الجيش عليه أن يستعد للحروب، لكن العلامة الحقيقية للانحياز يتحددان حصراً في الحرب نفسها، وليس في المناورات، لأن الحرب هي وحدها الاختبار الحقيقي للقدرة. لذلك، أنهى عناصر وحدة الرضوان للمهمات الخاصة في حزب الله، بحسب فرضيات المناورة، أمس، احتلالهم لعدد من المستوطنات في

أنهت إسرائيل أمس اليوم الرابع من المناورة الفيلقية الكبرى، المقرر أن تستغرق 11 يوماً، في محاكاة لحرب شاملة في مواجهة حزب الله. مناورة، تؤكد إسرائيل أنها مقرة مسبقاً، واستغرق الإعداد لها عاماً ونصف عام، وهي غير مرتبطة بأي تطورات اقليمية، في الساحتين اللبنانية والسورية.

مع ذلك، كان سقف التوظيف الإسرائيلي للمناورة، التي قررت مسبقاً أنها ستنتهي بهزيمة حزب الله ورفع الرايات البيضاء، عالياً جداً إلى حدّ المبالغة التي أثار تشكيك - بل وسخرية - عدد كبير من المعلقين والمراسلين العسكريين في وسائل الإعلام العبرية.

منذ اتفاق وقف إطلاق النار في سوريا، وقد يفسر كنوع من التلميح الإسرائيلي إلى الدول الكبرى: «عليكم الآن الأخذ في الحسبان اعتباراتنا الأمنية. إذ بوسعنا عرقلة عملية التسوية المستقبلية في سوريا، إذا أصررتهم على إبقائنا خارج الصورة!» بدورها، وجهت وزارة الخارجية السورية رسالتين إلى الأمين العام للأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن حول العدوان الإسرائيلي قرب مدينة مصيف، أكدت فيهما أن «الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة أصبحت سلوكاً ممنهجاً بهدف حماية الإرهابيين من «جبهة النصرة» وتنظيم «داعش»، ومن غير المقبول أن مجلس الأمن الدولي لم يتخذ حتى الآن أي إجراء لوضع حد لهذه الاعتداءات السافرة» بحيث أصبحت حماية «إسرائيل» للإرهابيين في مامن من المسألة».